الاستشراق تجاه السيرة النبوية (المستشرقون: وات وبروكلمان وفلهاوزن أنموذجا)

Orientalism Towards the Prophet's (ﷺ) Biography (Orientalists: Watt, Brockelman, and Wellhausen as Example)

Dr Amin Ali
PhD Arabic National University of Modern Languages, Islamabad
E&S Edu Department Swabi (KP)
Email: alimudassir1984@gmail.com
Nazia Gohar
Research Associate QEC Department, AIOU, Islamabad
Email: nazia.gohar@aiou.edu.pk

Abstract
Orientalism and these Orientalists are Christians, Jews, and other non-Muslims who learned the language of the East, learned the Arabic language, and wrote about Islam and Muslims. Some of them wrote against Islam and Muslims, and some of them made their writing a means toward presenting an ugly image of Islam and Muslims. Some of them focused on a social and cultural aspect, while others focused on a religious or political aspect. They translated the Holy Qur'an, and then turned to the honorable biography of the Prophet (ﷺ) through criticism and research.
There are various factors and goals of Orientalism: Religious factor, Political and colonial factor, Economical factor, & Educational factor, but the main and primary factors of orientalism are religious and political as compared to other factors in achieving its goals. The Orientalist approach in general was derived from the Western approach in its components, as there was no basis in the Western approach that was appropriate to the spirit and facts of the Prophet's (ﷺ) biography, because the biography of the Prophet (ﷺ) is completely different from the details tested by experience and measured by the scale of reason & criticism. Orientalists followed different approaches in writing the biography or in criticizing it. The most important of these approaches are: The reverse approach, The impact and influence approach, The physical approach, The projective approach, The approach of denial, skepticism, and assumption, The construction and demolition approach.

Keywords: Orientalism, Prophet's (ﷺ) biography, Watt, Brockelmann, & Wellhausen

الحمد لله حمدًا يكافئ نعمه وآلائه، ويستدير رضاه وتوفيقه، والصلاة والسلام على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة، نبينا محمد وعلى آل بيته وصحابته إلى يوم الدين، أما بعد!

الاستشراق، والمستشرقين هؤلاء أناس من النصارى، ومن اليهود، ومن غيرهم من غير المسلمين، تعلموا لغة الشرق، تعلموا اللغة العربية، وكتبوا عن الإسلام، وعن الأديان، فبعضهم قد كتبوا في حق الإسلام والمسلمين وبعضهم جعلوا كتابتهم وسيلة تجاه تقديم صورة بشعة للإسلام والمسلمين. ومنهم من ركزوا إلى جانب اجتماعي وثقافي، كما يركزون آخرون إلى جانب ديني أو سياسي، فقام المستشرقون بكتابة التراجم لكلام الله تعالىٰ وتوجهوا من ثَمّ تجاه السيرة النبوية الشريفة –على صاحبها الصلاة والسلام– متصلاً بترجمة آيات كلام الله نقداً وبحثاً.

نطاق البحث واسع جدا، لذا اخترت من المستشرقين ثلاثة منهم: وات وبروكلمان وفلهاوزن. حيث يتضمن البحث التمهيد ومحثين وأبرز النتائج وفهرس المصادروالمراجع حسب الهيكل التالي:

التمهيد: عوامل الاستشراق الأساسية وأهدافه:

هناك عوامل وأهداف مختلفة قد دعت أهل الغرب أن يكتشفوا أسرار الشرق عموماً وأن يبحثوا عن الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص، فمن أهم تلك العوامل هي:

أولاً– العامل الديني: منذ بداية حركة الاستشراق كان هدف البحث عن الإسلام هو الإيقاف للتأثير الإسلامي في البلاد الغربية المسيحية، وفي الأصل كان هدفه الأساسي خدمة المسيحية والكنيسة، ولم تتخلف الكنيسة عن بذل أموالها وجهودها في مشروع الاستشراق،[1] وقد توجهت الكنيسة بحركة الاستشراق إلى بلاد الأندلس مستعيناً بمجال ترجمة القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي إلى اللغات الأوربية، وكانت الكنيسة قامت بتشكيل من المترجمين المسيحيين للحصول على معرفة أساسية عن مبادئ الإسلام والمسلمين، ومن هنا بدأ حركة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية،[2] وكان تلك الترجمة ضمن محاربة الكنيسة بالإسلام بحثاً ونقداً، وامتد مجال الاستشراق إلى الجامعات والمعاهد العلمية، وانكبت الجامعات والمعاهد في تعليم اللغة العربية للإدراك مفاهيم كتاب الله والحديث الشريف، فكما كان الهدف من تعلم اللغة العربية تجارياً كي يسهل الطرق تجاه التجارة مع البلاد الشرقية؛ فكذا كان عامل خفي خلف تعليم اللغة العربية وهو البحث عن الإسلام وتوسيع الدعوة المسيحية في الأقطار النائية في البلاد المسلمين.[3]

وبسبب تاثير الكنيسة على ظاهرة الاستشراق تظل دوافع الاستشراق غير بريئة، وخصوصاً بعد وصول المسلمين الأتراك إلى عاصمة الدولة البيزنطية وإستلائهم عليها بدأت حرب انتقامي ضد الإسلام والمسلمين، وتلك الحروب الانتقامية ظهرت في ظاهرتين الحروب الصلبية والحروب الفكرية، أما الحروب الصليبية فتتجح تجاه البلاد الأندلسية وأما الحروب الفكرية فقد استخدمت الكنيسة المسيحية أدواة الطعن ضد الإسلام في صورة الاستشراق.

ثانياً– العامل السياسي والاستعماري: كان العامل الاستعماري لم يكن أقل حظا من الاستشراق ضد الإسلام والمسلمين، واستفادت السياسية الاستعمارية من الاستشراق كثيرا، وكذا لم يبخل الاستعمار في تقدم الاستشراق وتعزيزه، فكما جند الاستعمار ضد المسلمين في الحروب الصليبية، فكذا جند طائفة فكرية كبيرة لخدمة أغراضه وأفكاره، وهذا لسبب تمكين سلطان باهر في بلدان المسلمين المستعمرة، وبسبب هذا التوافق والتشارك بين الاستعمار والاستشراق نشأت رابطة وعلاقة وثيقة بينهما، فرجال السياسة الاستعمارية كانوا يرجعون إلي المستشرقين قبل هجوم على البلاد الإسلامية، وكانوا يهتمون بآرائهم وأقوالهم في اتخاذ القرار عن البلاد المستعرة، وكان المستشرقون هم الوسيلة الوثيقة للتجسس خلال الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. (4)

فالمعرفة عن البلاد الإسلامية والمسلمين صارت قوة للاستعمار ولرجال السياسة، وكانوا في إثر زيادة القوة بمزيد من المعرفة، فالأروبا كانت في بحث كشف الفكر الإسلامي لأجل تعديل سياسي؛ لكي يتمكن رجال السياسة في وضع الخطط السياسية التي تطالبها الأوضاع السياسية الضعيفة في بلاد المسلمين.(5)

ثالثاً– العوامل الثانوية الأخرى: فالهدفان الرئيسان للاستشراق هما: الديني والاستعماري، أما العوامل الأخرى للاستشراق وأهدافه بالنسبة لهذين الهدفين الرئيسين تعد عوامل ثانوية، فمن أهم تلك العوامل والأهداف هي: العامل العلمي وإن كان هذا العامل ضئيل جداً بالنسبة الهدفين الأولين، فالكنيسة كانت ضد الإسلام وقد قامت ضد المستشرقين الذين جاؤوا بكتب أظهرت عطفاً على الإسلام،(6) وكذا عامل اقتصادي وتجاري للاستشراق، وإن كان هناك بعض من الأمثلة على هذا العامل، لكن بالقياس للعامل الديني والاستعماري أقل عدداً في هذه الظاهرة.

المبحث الأول

مناهج وات وبروكلمان وفلهاوزن في كتابة السيرة النبوية.

المنهج الاستشراقي على الإطلاق استمد من المنهج الغربي في مقوماته، إذ لم يوجد أي أساس في المنهج الغربي الذي يلائم لروح السيرة ووقائعها، لأن سيرة الرسول ﷺ مختلف تماما عن الجزئيات المختبرة بالتجربة وتقاس بميزان العقل.(7)

فقد اتبع المستشرقون المناهج المختلفة في كتابة السيرة أو في نقدها، فمن أهم تلك المناهج هي:

أولاً– منهج العكس.

ثانياً– منهج الأثر والتأثر.

ثالثاً– المنهج المادي.

رابعاً- المنهج الإسقاطي.

خامساً- منهج النفي والتشكيك والافتراض ويسمى بمنهج الاعتماد والاستعانة بالشاذ والضعيف.

سادساً- منهج البناء والهدم.[8]

ففيما يلي سيسلط الضوء على مناهج وات وبروكلمان وفلهاوزن في كتابة السيرة الذاتية حسب المطالب التالية:

المطلب الأول: منهج وات في كتابة السيرة النبوية.

ولقد أقر وات (William Montgomer Watt ﷺ)[9] في مقدمة كتابه (محمد بمكة – Muhammad at Mecca) بأنه سيتبع الحياد في نقل السيرة ولم يلتفت ولن يلتفت تجاه الحكم على القرآن بكونه كلام الله أو عدم كونه، بل سينقل كما ورد في القرآن بصراحة (هذا ما قال القرآن)، ومن الواجب على المسيحيين أن يتخذوا موقفاً دينياً عن محمد – ﷺ –[10]، وكما أقر في كتابه (الوحي الإسلامي) بأن "النظرة العلمية هي العقلية الحديثة القائمة على إنجازات العلم، وعلى الاعتقاد بإمكانية تطبيق طرقه في مجالات كثيرة." [11] وهو حسب دعواه يتمسك في تصحيح الأخطاء التي وقعت في الماضي بالاعتقاد بإخلاصه؛ حتى يظهر عكسه بحجة قاطعة. [12]

فقد استخدم وات بمناهج مستشرقين المتداولة جلها أو أكثرها، فمثلاً يثبت لرسول الله التأثر من مسيحية ويهودية، خصوصاً من ورقة بن نوفل في ظاهرة تنزيل الوحي، ومن يهود المدينة في ظاهرة جعل القبلة في المدينة بيت المقدس دون بيت الحرام.[13]، وقد أثبت وات تحت منهج العلماني وقائع السيرة من بين ميلاد رسول الله ﷺ وزواجه لأول مرة من خديجة وسفره إلى الشام للتجارة وقصة بحيرا الراهب ونسطورا الراهب، فنقد وات أن كل تلك القصص المتعلقة نشأت من التخيل الخلاق وليس لها أية صلة بالحقيقة.[14]، ناقش وات تحت المنهج المادي من بين وقائع السيرة النبوية أن العامل المادي والاقتصادي والسياسي كان توتر وتقلق محمد ﷺ ومعاصريه، فكأن شيوع الإسلام في القبائل وفي المدينة والغزوات والسرايا كلها تتعلق بالسياسة والاقتصاد.[15]، وكذلك وات عمل على إسقاط الرؤية الغربية المعاصرة تحت المنهج الإسقاطي، ويدعي أن النبي ﷺ لجأ إلى غار حراء لأجل الفرار من حر مكة ويسقط نظرية التحنث، وكذا يسقط هجوم القرآن على الوثنية في المراحل الأولى البدائية ويثبت للنبي ﷺ شخصية منذرة من العواقب دون شخصية سياسية.[16]، ومن أكثر المناهج المستخدمة لدى وات في دراسة النبوية هو منهج النفي والافتراض، فقلما نجد نماذج للسيرة إلا وات قدم للنفي وللتشكيك فيها، فمن أكثر العبارات المستخدمة لدية خلال دراسة السيرة هي: (من الصعب أن نصدق ذلك)، و(لا يمكننا قبول هذه الرواية)، و(يجعلنا هذا في الشك)، و(لو يمكننا التصديق)، و(من الممكن أن يكون

كذلك ؛ولكن) وغير ذلك من العبارات التي تعمل في النفي المتطلق أو التشكيك في الوقائع التي تتعلق بالسيرة النبوية. [17] وكذا يعمل وات على منهج البناء والهدم، ويطرء الجانب المضيئة للسيرة النبوية، فأولا يحاول البناء للرؤية الإسلامية ثم يقدم فيهدم تلك الرؤية كما يهدم رؤية الدعوة الإسلامية العامة إلى ملوك البلاد في السنة السادسة بعد الهجرة، وكذلك يهدم رؤية النجاح للرسول ﷺ ويثبت أن هذا النجاح لم يتجاوز الإطار الزماني والمكاني. [18]

المطلب الثاني: منهج بروكلمان في كتابة السيرة النبوية.

كتب بروكلمان (Carl Brockelmann)[19] في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية – History of the Islamic Peoples " ولهذا الكتاب كانت أهمية بالغة في الدوائر الاستعمارية أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، أما المناهج المستخدمة لدى بروكلمان في دراسته للسيرة النبوية فهي:

لم يثبت تأثر الرسول ﷺ بالدعوة اليهودية والمسيحية فحسب، بل أضاف مع الدعوتين الدعوات الفارسية والأرامية والبابلية كذلك، وتحت المنهج العلماني أثبت أن هدف النبي ﷺ من الدعوته السيطرة على البلاد العربية،[20]، وأثبت تحت المنهج المادي لغزوات النبي ﷺ هدفاً مادياً، ويذكر النماذج المختلفة للبدر وبعد فشل الحديبية الغزو تجاه خيبر؛ حتى ضم فدك إلى ملكه الخاص.[21]، وتحت المنهج الإسقاطي حاول بروكلمان أن محمد ﷺ يعترف بآلهة أهل المكة الرئيسة شفعاء عند الله، فكأنه شعور التوحيد شعور غامض لديه. [22]، وكذا تحت اعتماد الضعيف والشاذ ومنهج النفي لم يسلك بروكلمان منهج المستشرقين الآخرين، بل أثبت وصدق وقائع السيرة، كما صدق وجود أصحاب الصفة ولكن أثبت لهم السبب وهو حرس الرسول ﷺ وكذا أثبت رحلة النبي ﷺ تجاه الجنوب في القوافل التجارية، وكذا أثبت قصة الغرانيق أثناء تلاوة سورة الضحى.[23]

المطلب الثالث: منهج فلهاوزن في كتابة السيرة النبوية.

كتب فلهاوزن (Julius Wellhausen)[24] "تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية"، وهذا الكتاب مختصر يتضمن بضعة وثلاثين صفحة قريباً، ولا يمكن الاطلاع به على منهج فلهاوزن في دراسة السيرة النبوية حسب مناهج المستشرقين، إلا أنه قد يختلف عن المستشرقين الذي أسهموا في دراسة السيرة النبوية،[25] فتحت المنهج الأثر والتأثر أثبت فلهاوزن تأثر النبي ﷺ والإسلام من اليهودية في ظاهرة تحويل القبلة والعبادات بعد الهجرة[26]، أما تحت المنهج العلماني يسلط الضوء على سياسة النبي ﷺ بأن هدفه الأساسي هو الوصول إلى كرسي الحكم وبعد الوصول إلى المرام قد ازداد الطابع السياسي بروزاً وازداد الطابع الديني تراجعاً.[27]

المبحث الثاني

رؤية وات وبروكلمان وفلهاوزن تجاه السيرة النبوية.

هذا المبحث يتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: رؤية وات وبروكلمان وفلهاوزن تجاه العهد المكي.

امتدت الدعوة النبوية الإسلامية في مكة من 610م إلى 623م، والمحور الأساسي لتلك الدعوة هو اعتقاد "لا إله إلا الله" ومنهجية البناء العقيدي وتصور الحياة والكون، إلا أن المستشرقين لم يسلكوا مسلك الحياد في تقديم صورة صادقة للسيرة النبوية خلال دراستهم، فمثلا في ظاهرة ولادة رسول الله ﷺ يزعم بروكلمان أن ولادته لم تكن في عام الفيل (570م)، بل كان متأخرا، وخلف ذلك الزعم الباطل أنه يريد أن يهدم بناء النبوة والرسالة، لأنه كان يريد أن ينقض القول الشرعي أنه بعث على رأس الأربعين مثل سائر الأنبياء والرسل، وعندما ينقص عشرة سنوات فسيثبت أنه بعث على رأس الثلاثين، فكيف يمكن أن يكون نبياً. [28]، وكذا وات وبروكلمان أنكرا كلاهما أو يتشككا في كل ما ورد في السيرة النبوية بين فترة الولادة إلى زواج النبي ﷺ الأول، غير ما ورد في الضحى عن فقره ويتمه وضلاله. وكذا يرتاب وات في أمية الرسول ﷺ لأنه كان تاجراً ناجحاً ولا يمكن أن لا يعرف شيئاً. [29]، ويثبتا كلاهما اتصال النبي ﷺ بأفراد المسيحية أثناء الفترة البدائية قبل الوحي وبعده وتأثره من تعليمات المسيحية. [30]

وكان وات ينكر عن النبي والمسلمين بالتعرف عن الصلة بينهم وبين سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا بعد الهجرة والتحاق بيهود المدينة.[31]، وكذا يتشكك كل واحد من وات وبروكلمان وفلهاوزن في أمر النبوة وإثبات نزول الوحي إلى محمد ﷺ ويثبتونه كإنتاج التخيل الخلاّق، ومصدر الوحي هو اللاوعي الجماعي مثل وحي الأديان الأخرى[32]، وكذا فلهاوزن يعتبر أن القرآن هو تأليف محمد بنفسه، غير منزل من الله؛ فكأنه بهذا القول ينتفي نبوة النبي ﷺ.[33]، وكذا كل واحد منهم يتفق على اقتصار الدعوة الإسلامية في البلاد العربية دون سائر البلاد، فكأنهم يتفقون في إسقاط الطابع الوضعي العلماني للدعوة النبوية.[34]

وكذا وات وبروكلمان يتشكك في أمر النبوة وصدق الوحي وبذلك يتدرجان تجاه عدم صدق النبوة وإثبات الرسالة لمحمد ﷺ ويثبتون بتصيد الشاذ والضعيف من الروايات في ظاهرة الآيات الشيطانية في مسألة (الغرانيق)[35]، وكذا وات وبروكلمان يعتبرنان دعوة النبي إلى الجن والإسراء والمعراج بعد حرمان النبي ﷺ من المجتمع الإنساني أوهاما هلوسة.[36]

فكأن وات وبروكلمان وفلهاوزن كل واحد منهم حسب رؤيتهم خلال دراسة السيرة

النبوية في إثر الدعوة النبوية لإبطال الدعوة الإسلامية، فكأن الوحي مجرد إيهام وتخيل انبثق من لا شعور محمد ﷺ ، والنبوة أبدعها هو بنفسه لأنه حيز مكاناً أميناً وصادقاً بين أهل مكة، وكان النبي ﷺ لم يكن أمياً، ولم يكن يعرف أبعاد دعوته، والدعوة الإسلامية لم تكن عالمية؛ بل كانت تنتمي إلى إقليم خاص بالعرب وحدها، وكذا اغتيال الرسول ﷺ خلال الهجرة أو أثناء إرادته للهجرة لم يكن يقع ولم يكن حقيقياً، وبهذه النماذج التشكيكية والأمثلة الباطلة للدراسة السيرة النبوية محاولة بشعة تجريد العهد المكي من أسسه الثابتة ودعائمه الوثيقة، وبهذا يريد كل واحد من المستشرقين الثلاثة يتزلزل بناء الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: رؤية وات وبروكلمان وفلهاوزن تجاه معالم دولة المدينة.

بالهجرة النبوية بدأ العهد الجديد للإسلام، حيث أسس الدولة الإسلامية على قوامها، وتغيرت ملامح يثرب حتى صارت مدينة الرسول ﷺ ، حيث أسس المسجد النبوي كمركز ديني وثقافي وسياسي واجتماعي، ثم نشأت سلسلة ذهبية للمؤخاة بين الأنصار والمهاجرين، وقد دوّن أول دستور ميثاقي سياسي واجتماعي بين المسلمين ويهود المدينة. لكن المستشرقين حسب فكرهم الباطل ونظرهم المعوج ينظرون إلى تلك الوقائع التاريخية للسيرة النبوية نظرةً متشككاً، فكان وات يزعم أن العلاقة بين المهاجرين والأنصار غير ملائمة، ويدلل برواية تتعلق بوقعة مخصوصة فعمها بالقياس،[37]، وتلك الحادثة لكعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف من غزوة تبوك، فقاطع المسلمين حسب أمر الرسول ﷺ ، ولكن عم وات تلك الواقعة على الخلافات بين الأنصار والمهاجرين.

وكذا وات ينقد على دستور الدولة الأولى الإسلامية في مدينة الرسول بين المسلمين واليهود، كما أنه يعتمد على روايات ابن اسحاق والواقدي، فإنه يجعل التشكيك في صحة الدستور وفي وضعه وفي كتابته وفي بنوده وفي الفريقين وفي توقيته.[38]، وعندما أثبت أن اليهود فريق للدستور وهم ليسوا على دين محمد ﷺ ، فيدلل على أن الأمة لم تعد أمة دينية خالصة، وكذا كان في إثر تقليل مكانة النبي ﷺ في المدينة، و يثبت بأن الدستور لم يوجب طاعته في المدينة على الإطلاق كحاكم، فكأنه زعيماً للمهاجرين فقط ولا لغيرهم.[39] وكذا بروكلمان لم يتخلف في أفكاره المعوّجة وجعل التشكيك في النبوة حيث أسلوب القرآن –حسب زعمه– لايلائم لأحكام السياسية حسب أوضاع المدينة المنورة، فكأنه في إثر إثبات القرآن تأليفاً لمحمد ﷺ ، ولم يكن ينزل وحياً من الله تعالىٰ .[40]، وكذا فلهاوزن يثبت أن محمد ﷺ بعد وصوله إلى المدينة قد حصل على مرامه السياسي فقد برز شخصية سياسية غير دينية، فكأن الطابع الديني قد تراجع بعد الهجرة كما كان الطابع السياسي برز بكل قوة.[41]، وكذا وات وبروكلمان كلاهما ينقدان ويستخران من التشريعات بحدود إسلامي مثل الثأر والقصاص وقطع اليد،

ويثبتان أنها ضئيلة جداً، وهي نوع من السذاجة، وكانت التشريعات اتباع محض لقوانين العهد الجاهلي قبل الإسلام، ولم تكن الجديدة.[42]، وقد أراد وات أن يثبت نظام العائلة الذي يتعلق بالزواج وانتساب الأولاد إلى الأم دون الأب، كان قد استمر إلى قرن كامل، وبعد قرن تحول النظام إلى انتساب إلى الأب، ولكن هذا الدعوى من غير دليل ولم يقدم وات مثالاً واحداً على دعواه.[43]

وكذا وات وبروكلمان كلاهما يعدان تحريم الخمر إما اعتباراً سياسياً، حيث كان عصير العنب يستورد من سوريا والعراق، وفي استيرادها إفادة عدو الإسلام والمسلمين أو يجعلانه أمراً سياسياً تقييدياً للشعراء لصلاح روح النظام الإسلامي، فكأنهما يحصران تحريم الخمر إلى زمان أو مكان مخصوص.[44] فكان كل من المستشرقين الثلاثة حصروا بآرائهم وأفكارهم سياسة رسول الله ﷺ وشخصيته في إطار زماني ومكاني مخصوص، فحسب زعمهم الباطلة المستدلة من الروايات الضعيفة أو رؤيتهم المعوّجة كانت تشريعات رسول الله ﷺ مخصوصة لإصلاح المدينة دون العالم كله، وكأنهم يريدون الفصل بين وظيفة النبي ﷺ حسب القائد السياسي وحسب القائد الديني.

المطلب الثالث: رؤية وات وبروكلمان وفلهاوزن تجاه معارضة المنافقين.

وإن كان النفاق موجوداً في المدينة منذ اتفاق أهل المدينة على رئاسة النبي ﷺ ، إلا أنها ظهرت كحركة سياسية بعد انتصار الرسول ﷺ والمسلمين ضد عدوهم من مشركي قريش، أما المستشرقين هم منافقي العصر الحديث، فلذا حاولوا دفاعهم وإدراجهم في صفوف المسلمين المخلصين، ثم يجعل كل واحد من الثلاثة – وات وبروكلمان وفلهاوزن– التشكيك في أسباب وجود النفاق، فثبت وات إخلاص المنافقين للدعوة الإسلامية واستدل بمشاركتهم في الغزوات ومبادرتهم تجاه الدعوة الإسلامية، وفلهاوزن يلجأ إلى سبب الإرهاب من قبل المسلمين الذي قد اضطر أهل المدينة على النفاق، وكذا أثبت وات عجز النبي ﷺ عن الإجراءات القانونية والسياسية في المدينة.[45]

وكذا أثبت وات إسلام عبد بن أبي ابن سلول —رئيس المنافقين في المدينة–، ويرجع به إلى قبل بيعة العقبة الأولى.[46] وكذا بروكلمان ادعى أنه كان فوز النبي ﷺ في غزوة البدر قوياً، فقد بدأ في اتخاذ الإجراءات ضد من يخالفه.[47]، أما فلهاوزن ادعى أن بعد بدر بدأ الإسلام بسياسة الإرهاب داخل المدينة ولذا بدأ حركة سياسية نفاقي ضد الرسول والإسلام. [48]

وكان وات في إثر دفاع رئيس المنافقين وأثبت أنه لم يرفض قط مساعدة ضد العدو في غزوة بدر.[49] ولم يكتف بهذا القدر بل أثبت مساعدة يهود المدينة ومشاركتهم في غزوة بدر، وذلك للحلف بينهم وبين عبد الله بن أبي. [50]، وكذا وات وبروكلمان كلاهما تحدثا عن حديث الإفك، وتخيلا وفق الفكر الغربي وقاسا المجتمع الإسلامي على المجتمع الغربي، فكانا في إثر إثبات وقوع الزوجة الشابة ابنة

الرابع عشر من عمرها في حب الشاب الوسيم.[51] فكان المستشرقين الثلاثة حسب رؤيتهم في ظاهرة معارضة المنافقين، فكانوا في إثر إثبات إخلاص المنافقين للدعوة الإسلامية، وحاولوا تبرئة المنافقين من كل التهم التي واجهت إليهم في التخلف في الغزوات أو نقض أمن المدينة.

المطلب الرابع: رؤية وات وبروكلمان وفلهاوزن تجاه العلاقات بين الإسلام يهود المدينة.

كما مر في البحث الأول تحت مناهج المستشرقين الثلاثة وظاهرة التأثير والتأثر أن الإسلام حسب زعمهم، وبعبارة أخرى أن النبي ﷺ تأثر من المسيحية واليهودية، فكأن الإسلام مركب من التشريعات المسيحية واليهودية، وعندما ندقق النظر؛ فنجد أن هذه النظرية مؤدية تجاه فكرهم السياسي ونظرتهم المعوّجة بأن الإسلام تأليف من أفكار محمد ﷺ وهو غير دين سماوي، كما أثبت وات وبروكلمان وفلهاوزن تأثر النبي ﷺ من المسيحين —مثل ورقة بن نوفل، ونسطورا، وبحيرا وغيرهم– قبل ادعاه بالنبوة والرسالة، أما بعد الهجرة فتأثر من اليهود تأثراً شديداً؛ حتى أمر بتحول القبلة لإرضاء اليهود في المدينة.

أما وات فرفض دخول اليهود في مفهوم الأمة في ظاهرة الدستور الأولى الذي انعقد بين المسلمين واليهود.[52]، أما بروكلمان أثبت لليهود جزئية الأمة.[53]، كان وات يثبت أثر اليهودية والمسيحية على العبادات الإسلامية من الصلاة والصيام والحلال والتحريم في بعض الأطعمة، وحتى أثبت بروكلمان تقديم الوضوء على الصلاة بأنه مستفاد من التعاليم المسيحية. [54]

ومن المعروف والمتداول أن اليهود كانوا من البداية ضد الأنبياء والرسل الذين أرسل إليهم، وعندما بعث محمد ﷺ في العرب من بني إسمعيل عليه السلام ، صاروا معاندين له، فبدأوا يخالفون له وبالغوا فيه، حتى أمر رسول الله ﷺ بإخراجهم من المدينة، فالمستشرقين حسب أفكارهم وآرائهم المعوجة البشعة طعنوا ونقدوا على الإسلام والنبي ﷺ ، كما كتب فلهاوزن بأن محمد قد استخدم الوسائل الغير المقدسة في إخراج اليهود[55]، وكذا بروكلمان حاول إثبات إخراج اليهود من المدينة عاملاً اقتصادياً وسياسياً واختلافاً قديماً جرى بينهم.[56]، أما وات جعله اختلافاً فكرية وفرصة بعد انتصار النبي ضد الأعداء من مشركي مكة.[57]

فكأنهم أرادوا الإثبات الدين الإسلامي ديناً محلياً دون عالمياً، ومع ذلك من الأحسن بأنهم قد اعترفوا —خلال إبطال صداقة الإسلام– بالإسلام ديناً سماوياً.

الخاتمة:

فمن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة هي:

1. هناك أهداف وعوامل المختلفة للاستشراق وفعلى رأس تلك العوامل عاملين رئيسن، وهما: عامل ديني وعامل استعماري، أما العوامل الأخرى سواء كانت اقتصادية أو علمية أو غيرها فهي عوامل وأهداف ثانوية.

2. التشكيك في السيرة النبوية مبدأه الروايات الضعيفة الشاذة التي وردت في كتب السيرة النبوية للكتّاب المسلمين، مثل ابن اسحاق والواقدي وغيرهما، وكان المستشرقين في إثر تلك الروايات الشاذة الضعيفة، فكأنهم وجدوا مدخلاً كي يتسربوا بأفكارهم الباطلة بين مبادئ الإسلام وإثبات دعواهم عن عدم سلامة السيرة النبوية.
3. تشابه مناهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية، وتشابة المسائل المثيرة لديهم أوصلهم إلى تشابهم النتائج الموصولة.
4. قد توجد اختلاف على سبيل الندرة والشاذ بينهم، وهذا الاختلاف ينتمي إلى درجة لا في النوع، فكما اتفقوا على المناهج الخاطئة، فكذا اتفقوا في وصول إلى نتائج خاطئة.
5. وات وبروكلمان وفلهاوزن كل واحد منهم حسب رؤيتهم خلال دراسة السيرة النبوية في إثر الدعوة النبوية لإبطال الدعوة الإسلامية.
6. النماذج التشكيكية والأمثلة الباطلة للدراسة السيرة النبوية محاولة بشعة لتجريد العهد المكي من أسسه الثابتة ودعائمه الوثيقة، وبهذا يريد كل واحد من المستشرقين الثلاثة يتزلزل بناء الدعوة الإسلامية.
7. كل من المستشرقين الثلاثة حصروا بآرائهم وأفكارهم سياسة رسول الله ﷺ وشحصيته في إطار زماني ومكاني مخصوص.
8. حسب زعمهم الباطلة كانت تشريعات رسول الله ﷺ مخصوصة لإصلاح المدينة دون العالم كله، وكأنهم يريدون الفصل بين وظيفة النبي ﷺ حسب القائد السياسي وحسب القائد الديني.
9. كان المستشرقين الثلاثة في إثر إثبات إخلاص المنافقين للدعوة الإسلامية، وحاولوا تبرئة المنافقين من كل التهم التي واجهت إليهم في التخلف في الغزوات أو نقض أمن المدينة.

هذا وأسأل الله تعالىٰ أن يفقهنا في الدين، ويعلمنا التأويل، ويجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه. والحمد لله كما ينبغي لجلاله وكماله وجماله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الحواشي

[1](نجيب العقيقي، المستشرقون، ج/ 3، ص: 1157.

[2](محمود ياسين صديقي، الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامي، ص: 14، وينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج/ 1، ص: 661.

[3](محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص: 193.

[4](أ. سعيد، الاستشراق، ص: 146، وص: 221، وينظر: زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص: 46، والعقيقي، المستشرقون، ج/ 3، ص: 1149.

[5](مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص: 12.

[6](غسان سلامة، عصب الاستشراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1981م.

[7](مجموعة من المؤلفين، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج/ 1، ص: 23، وينظر: د. عماد الدين خليل، الاستشراق والسيرة، ص: 116.

[8](مجموعة من المؤلفين، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج/ 1، ص: 236، وينظر: د. عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص: 99 – 100، وينظر: جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ج/ 1، ص: 8 – 11، وينظر: مصطفى نصر المسلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، ص: 42.

[9] لمزيد من التفصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/W._Montgomer_Wat

(10) Muhammad at Mecca, p: 10.

(11) Islamic revelation in the modern world, p: 53.

(12) Muhammad at Mecca, p: 52.

(13) Muhammad at Mecca, p: 51-52, also see: Muhammad at Medina, p: 316, also see: Muhammad Prophet and statesman, p: 40, for more details see: The Influence of Judaism and Christianity, p: 45-46.

(14) Muhammad at Mecca, p: 33, 43,138,141, also see: Muhammad at Medina, p: 42, also see: Muhammad Prophet and statesman, p: 238,240, 244, for more details see: Islamic Revelation, p: 109.

(15) Muhammad at Mecca, p: 10, 20, also see: Muhammad at Medina, p: 144, 146, 176, 261.

(16) Muhammad at Mecca, p: 63, 15, 134.

(17) Muhammad at Medina, p: 22, 7, 20, 54, 9, 13, & Muhammad at Mecca, p: 146, 86.

(18) Muhammad at Medina, p: 40, 204.

(19) لمزيد من التفصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Carl_Brockelmann

(20) History of the Islamic Peoples, p: 15, 20, 30 etc.

(21) Ibid, 23, 28, etc.

(22) Ibid, 37.

(23) History of the Islamic Peoples, p: 13, 14, 21, etc.

[24]) لمزيد من التفصيل ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Julius_Wellhausen
[25]) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ت: عبد الهادي أبي ريدة، المقدمة.
[26]) نفس المصدر، ص: 16، 19.
[27]) نفس المصدر، ص: 5 – 6.
[28] History of the Islamic people, p: 13, 32.
[29] Muhammad Prophet and Statesman, p: 39 – 40, also see: Muhammad at Mecca, p: 104.
[30] Muhammad at Medina, p: 316, Muhammad Prophet and Statesman, p: 41-46, History of the Islamic Peoples, 14 - 17.
[31] Muhammad at Medina, p: 204.
[32] Muhammad at Mecca, p: 44, Muhammad Prophet and statesman, p: 238- 241, see also: Islamic Revelation, p: 109, also see: Muhammad at Medina, p: 325, for more details: History of the Islamic people: 15.
[33]) تاريخ الدولة العربية، ص: 2.
[34]: History of the Islamic people: 36 – 37, see: Muhammad at Mecca, p: 138, 141, see also: Muhammad at Mecca, p: 143.
[35]: History of the Islamic people: 14, also see: Muhammad at Mecca, p: 103 – 108.
[36] Muhammad at Mecca, p: 137, see also: History of the Islamic Peoples: 20.
[37] Muhammad at Medina, p: 191.
[38] Ibid, p: 221- 227.
[39] Ibid, p:230 - 240.
[40] History of the Islamic People, p: 36, 68.
[41]) تاريخ الدولة العربية، ص: 6.
[42] Muhammad at Medina, p: 261 – 271, 315, see also: History of the Islamic Peoples, p: 44.
[43] Muhammad at Medina, p: 388.
[44] Muhammad at Medina, p: 299, see also: History of the Islamic Peoples, p: 25.
[45] Muhammad at Medina, p: 181- 188.
[46] Ibid, p: 175.
[47] History Of Islamic People, p: 27.
[48]) تاريخ الدولة العربية، ص: 15.
[49] Muhammad at Medina, p: 178 – 185.
[50] Ibid, p: 197.
[51] History of the Islamic Peoples, p: 26, see also: Muhammad at Medina, p: 186, 285.
[52] Muhammad at Medina, p: 226 - 227.
[53] History of the Islamic Peoples, p: 21.
[54] Muhammad at Medina, p: 199, 305, also see: Histor of the Islamic Peoples, p: 16.
[55] تاريخ الدولة العربية، ص: 22)
[56] History of the Islamic Peoples, p: 24.
[57] Muhammad at Medina, p: 15 – 16.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

1. ابن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار، مطبعة دار البيان، القاهرة، ط/ 1، 1970م.
2. إدوارد سعيد، الاستشراق، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، 1981م.
3. جواد علي، دكتور، تاريخ العرب في الإسلام "السيرة النبوية، ج/1، مطبعة الزعيم، بغداد، 1961م .
4. زقزوق، محمود حمدي، دكتور، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط/ 2، 1404هـ .
5. صديقي، محمود ياسين، الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامي، هجر للطباعة والنشر، ط/ 1، 1988م.
6. عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ط/ 9، 1983م.
7. عبد العظيم الديب، دكتور، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، مطابع مؤسسة الخليج، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط/1، 1411هـ.
8. العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج: 1، 2، 3، دار المعارف – مصر، ط/ 3، 1964- 1965م.
9. عماد الدين خليل، دكتور، الاستشراق والسيرة، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1974م .
10. غسان سلامة، عصب الاستشراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1981م.
11. فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ت: عبد الهادي أبي ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م.
12. الفيومي، محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمار، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، 1978م.
13. مجموعة من المؤلفين، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط/ 1، 1985م.
14. المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، دار اقرأ، طرابلس – ليبيا، ط/ 1، 1986م.

المصادر والمراجع الإنجليزية:

1. Brockelman, Carl, History of the Islamic people, London: 1964.
2. Muhammad Prophet and Statesman, Oxford University press, London: 1966.
3. Watt, W. M, Muhammad at Mecca, fifth edition, Oxford University press, London: 1972.
4. Watt, W. M, Muhammad at Medina, Oxford at the Clarendon Press, London, 1966.